Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الفن وهو مدح النبى ﷺ، لأن الذين أجادوا ما كانوا فى الأعم الأغلب من الشعراء المشاهير، ولم يطرد فى التاريخ، ولم يكن فنا ظاهرا بين الفنون الشعرية المعروفة. وإنما هو فن نشأ فى البيئات الصوفية، ولم يهتم به من غير المتصوفة إلا القليل، ومع ذلك جدير بالدرس لأن فيه بدائع من القصائد والمقطوعات[1]. هذا حكم نتلقاه فى تأمل وتحفظ لأنه شاهد على غير مشهود عليه فليس من يقول إن الأعشى متلا وكعب بن رهير كانا من المغمورين غير المشهورين. وقصيدتهما مأثورة معروفة، كما أن شاعرا هو أشهر من مدح النبى ﷺ بقصيدته المعروفة ونعنى به البوصيرى لم يكن فى زمرة المتصوفة فلم يبق إلا التوضيح والتحديد فنقول إن هذا الفن ظهر على يد الصوفية، ذلك أنهم فى تعبيرهم عن حبهم لله عز وشأنه حبا صوفيا جمعوا بينه وبين حبيبه ﷺ ثم أفردوا قصائد لمدحه. أما ما نحن فى صدده فهو قصائد أو مطولات قالها الشعراء فى السيرة النبوية العطرة مدحوا فيها النبى متغنين بسيرته التى إذا ذكر شيء منها كان بالضرورة مدحا، وطول هذه القصائد فى الأغلب أفضى بأصحابها إلى سرد سيرته فيها، والبارودى يبين لنا فى الصفحة الأولى من الكتاب الذى بين يدى قصيدته أنه نظمها محتسبا عند الله حسن المثوبة وهذا منه تصريح عما يعتلج بين جوانحه من رغبة فى مرضاة الله وسلوة لنفسه بعد ما نزل بها من شدة وشقاء وبلاء، رجاء أن تغمر قلبه السكينة، لقد نظم قصيدته تلك فى منفاه. وقد أزعج عن الأهل والولد وكأنما أراد أن يستأنس بسيرة النبى ﷺ من وحشة ومعلوم أن المحزون إذا أخذ منه الحزن كل مأخذ وضاقت فى عينه الدنيا بما رحبت يلتمس فرجا بعد الشدة ويريد جاهدا أن ينفس عن كربته وإذا ما انقطعت به السبل لم يجد ندحة عن أن يتجه إلى ربه ويتضرع إليه وأن يكشف عنه العمة. وهدا ما كان من صنيع البارودى والجو النفسى الذى نظم فيه قصيدته. وحسن صنعا بأن مهد بالكلام عن ذكريات شبابه ووصف حاله وهو منفى فى سرنديب. فهذه البيئة التى أحاطته فى أرض غريبة كان لا بد أن يتحدث عنها فى صدر كلامه وكأنما شاء أن يصدقنا القول عن سبب عن باعث قوى بعثه على نظم قصيدته.

ومن الباحثين من يرى أن البارودى فى سرنديب ضاق ذرعا بمعايشة الوتيين[2] ولكننا نضيف إلى ذلك أن البارودى فى دار غربته كان له عميق الأثر فى نفوس الجم الغفير من

---

(١) د زكى مبارك. المدائح النبوية ص ١٩ القاهرة ١٩٣٥

(٢) د نفوسة زكريا سعيد البارودى حياته وشعره – الإسكندرية ١٩٩٢م.